قواعد أساسية لعمارة جديدة

شيمون بيريز

الحوار

الخياران اللذان نواجههما جميعا . نحن أهل الشرق الأوسط جميعا ، عرباً ويهوداً واضحا المعالم : هل نسمح للمشكلة الفلسطينية بزج المنطقة بكاملها نحو حرب أخرى ؟ أو أن نسعى نحو تنظيم اقليمى لتسوية المشكلة الفلسطينية :

ينشر هذا المقال فى نفس اليوم مع صحيفتى جيرو سالم بوست وعل همشمار .

إن الخيار الأول معناه : حرب أخرى . بينما الخيار الثانى يفتح بابا للسلام .

وأعتقد أن الرئيس السادات قد أحسن عملا لادراكه ذلك الخيار الثانى حين قام بوصفه رئيساً لأكبر بلد فى المنطقة بمبادرته التاريخية نحو تسوية الخلافات بالوسائل السلمية .

لقد كانت مصر دائما وأبداً الشقيق الأكبر فى عائلة شعوب منطقة الشرق الأوسط . وكان لذلك أثره الدائم على دول المنطقة – وأظن أن الماضى والمستقبل يؤكدان ذلك . لقد خضنا أربع حروب . ولكل منها نهاية عسكرية واضحة . . ولو أنه لم تنته أى منها بحل للمشكلة التى من أجلها خاضت الجيوش معاركها .

إن حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ انتهت فقط بزيادة عدد الضحايا والخسائر فى الأرواح والممتلكات وزاد عدد اللاجئين ، وعمقت شعور العداء والمرارة . ولم تأت بحل دائم . إنما العكس هو الصحيح : فقد فتحت الحروب بابا للسيل السوفيتى وأيقظت القوى المتطرفة ونتج عنها التخلف الاجتماعى والجمود الاقتصادى .

إنه لمن السذاجة أن يتكلم المرء عن أسباب الحروب بينما يغمض العين عن نتائجها .

إن انجابات العسكرية ستأتى دائما بمكاسبها على القوى العظمى سواء من خلال بيعها للسلاح أو صراعها من أجل هيبتها دون أن تهتم بالأضرار التى تحل بأهل المنطقة أو تعوق تطورهم الاجتماعى والاقتصادى !

وكان من الخطأ احتواء الصراع بالعباءة الفلسطينية اذ أن اعتباره إقليميا يحمل فى طياته أملا فى حل القضية الفلسطينية بالطرق السلمية . إن رؤية الصراع كإقليمى تأخذ فى الحسبان بصورة عامة واقع المشاكل (الشرق أوسطية) الناجمة عن عوامل جغرافية وتاريخية ومن هذه العوامل الصحراء والجبال والبحار والمناخ . وكل هذه العوامل ساهمت فى تعريق شعوب المنطقة وفى اجهاض تطويرها السريع . وكان غياب التعاون الاقليمى سببا فى زيادة حدة العوامل الجغرافية والفرقة والعداء .

وما فهمته من خلال محادثاتى مع الرئيس السادات هو أنه لمشاركنا فى الرغبة بالتطوع معاً نحو جهد صادق وتاريخى من أجل التغلب على تلك العوامل : تحويل الصحارى إلى حقول وربط الجبال بطرق تمكن ابناء الشعوب وروادهم بفتح أبواب التصنيع والبحث والسياحة . وتطهير شواطىء البحار وفتحها أمام حركة حرة لا اضطرابات بها . واخضاع المناخ القاسى لما يتجه الإنسان . والوقوف صفا واحدا فى وجه أى تسلل أجنبى من خلال حلولنا المشتركة فى الشرق الأوسط وأن نستبدل بالتعصب الأعمى صلات تربوية واعية ومتسامحة .

واذا كانت طبيعة الشرق الأوسط صعبة – فقد بورك أهله بكثير من التصور والمقدرة تألقت المنطقة من خلالها عبر التاريخ فى انجازاتها العلمية والروحية . والقصد من التعاون الاقليمى هو بالمعنى التاريخى : أعودة سيادة التحفل على الصعوبات الجمة التى ابتلانا بها الماضى وطبيعة المنطقة . إننى أؤمن بامكانية كهذه . وإننى أؤمن بامكانية ايجاد حل مرض للمشكلة الأليمة التى يعانى منها ابناء الشعب الفلسطينى . وفى إطار ثقة مجددة وتعاون بعيد المدى يمكن النظر لهذه المشكلة دون رؤيتها وكأن حملها من التشكك والعداء ثقيل ، ثقيل جدا .

وأنا أعلم بأننا لا نستطيع التغلب على مثل ذلك الحمل خلال يوم واحد . اذ أن الشرخ القائم فى الشرق الأوسط ما بين جبهة الرفض وجبهة الحوار يدعونا للتقدم نحو الهدف بصبر وبحلول ذات مراحل من ناحية كيف وابن لنا وجهة نظر اسرائيلية لحل المشكلة الفلسطينية .

من أجل حل القضية الفلسطينية علينا أن نسأل أين هم الفلسطينيون ؟

والجواب : نصف ابناء الشعب الفلسطينى تقريبا موجود فى الأردن . . وهذا بشكل الأغلبية الساحقة هناك .

وجدير بالذكر أن الأردن نفسه كان جزءاً من فلسطين فى الماضى القريب .

وهناك نحو سبعمائة الف فلسطينى آخرين يقطنون يهوذا والسامرة ومائة الف يعيشون فى القدس . ونحو أربعمائة وخمسين ألفا يسكنون قطاع غزة . وما يقارب الستمائة الف مواطن فى اسرائيل ونحو مائتى ألف أو ثلاثمائة الف هم بمثابة لاجئين فى لبنان .

علينا أن ننظر للمشكلة وحلولها نظرة عامة وخاصة . وكل حلول الوسط يجب أن تبدأ من نقطة العدد التنازلى نحو الحل الشامل . ولذلك علينا أن نقرر أولا شكل الحل الشامل . وعما سيشمل ذلك حلا أو حلين أو ثلاثة حلول ؟

وحل واحد معناه اطار سياسى واحد . جيش واحد وعلم واحد . فمثلا إذا قامت دولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بجانب الدولة الأردنية . فان عهد عرفات بالسلط على الأردن (كما جاء فى الميثاق الفلسطينى) سيشكل مصدرا لاعمال عسكرية وعنصر ارهاب وتوتر دائمين فى الشرق الأوسط . وعندها سيرد الملك حسين بالمثل . كما ستجد اسرائيل نفسها متورطة إذا شاءت أو لم تشأ فى توتر دائم كهذا .

إن دولة فلسطينية ذات جيش له أهداف عدوانية : معناها الخطر الدائم للجبهة الشرقية وأيضا للجبهة الغربية . وقد يشك المرء بقدرة مثل تلك الدولة على ترسيخ مبدأ الطاعة أو على منع تورطها فى نزاعات داخلية تلوح بها فئات مسلحة

شيمون بيريز زعيم حزب العمل الإسرائيلى .

فى اتفاقيات كامب ديفيد يمكن تطبيق مشروع الحكم الذاتى كاملا ودون تأخير لغزة من الآن.

متصارعة منذ الآن . إذ ستطاير قذائف الكاتيوشا فى كل اتجاه وسيشكل الرد عليها تصعيدا لاعمال عسكرية دائمة فى المنطقة كلها .

وكل من لديه استعداد لرؤية المنطقة برمتها وحل المشكلة الفلسطينية بصورة مرضية فعليه بالرغم من كل الصعاب أن يبحث ليس فقط عن حل شامل للقضية الفلسطينية إنما عن حل واحد لمشكلة لا يمكن تجزئتها لأنه لا حل جزأ لمشكلة لا تقبل التجزئة . وعلى ذلك فإن اسرائيل ترى بوجوب النظر فى إطار اردنى فلسطينى يأخذ بالحسبان الثلاثة الملايين فلسطينى وأكثر القاطنين حاليا فى الأردن والضفة الغربية وغزة .

وإذا اتفقنا على رؤية كهذه ، فسيكون بالامكان الاتجاه نحو وضع احجار الزوايا لبناء سياسى فى إطار الشروط والاتفاقات المعمول بها اليوم فى الشرق الأوسط .

والحجرُ الاول يمكن أن يكون قطاع غزة حيث يمكن فيه تطبيق مشروع الحكم الذاتى كاملا ودون تأخير للفترة من الزمن ، كما جاء فى اتفاقيات كامب دافيد . وفى نهاية تلك الفترة يمكن البحث معا مع أهل غزة عن وسائل الربط ما بين القطاع وبين الإقليم – الأردنى – الفلسطينى .

أما الحجر الثانى فقد يأتى عن طريق دعوة الحكومة الأردنية للتفاوض معنا فى موضوع حل المشكلة الفلسطينية على أساس قرار مجلس الأمن رقم٢٤٢ – وهو القرار الذى تبنته كل من مصر والأردن واسرائيل .

قد لا تتمخض المفاوضات مع الأردن فى قفزة واحدة عن اتفاق شامل ودائم بشأن مناطق الضفة والقطاع . وفى تلك الحالة يتوجب علينا بحث حلول مرحلية كما كان الحال بيننا وبين مصر إلى أن توصلنا لتسوية سلمية دائمة . إن الصعوبة فى الوصول لحل دائم مرة واحدة كانت قد عرفت بصورة مقنعة فى إحدى الوثائق التى أبرزها الوفد المصرى فى كامب دافيد . وكان قد جاء فى ذلك النص ما يلى :

(نحن على يقين بأننا لا نواجه فقط مشكلة توقعات مصر فحسب بل مشكلة أمن اسرائيل أيضاً وتعتقد اسرائيل بأنها هوجمت دون مبرر مرتين مرة سنة ١٩٤٨ وأخرى ١٩٦٧ من قبل الجيش الاردنى وهى مقتنعة بأن عليها تجنب كشف نفسها لتكرار مثل تلك الأخطار)

ورغم تناقضات النص المصرى فإنى أومن بامكانية تقريب وجهات النظر فى مفاوضات سريعة وموضوعية .

ولا يستبعد أن تتمخض المفاوضات عن حلول لا تدور فى خلد أحد اليوم .

أما الحجر الثالث فى بنيان السلام فيمكن أن يأتى عن سياسة اسرائيلية مناسبة فى المناطق ، تتوازى مع تشجيع قيام زعامة محلية فى تلك المناطق عن طريق انتخابات حرة حتى ولو اقتصرت على انتخابات بلدية .

ولا مانع من انسحاب الحكم العسكرى ليترك مكانه لسلطة حكم ذاتى كما جاء فى اتفاقيات كامب دافيد .

ثم الحجر الرابع فى ذلك البنيان يجب أن يأتى عن طريق حل مشكلة اللاجئين فى لبنان لأن ذلك سيعنى لبنان من المصيبة التى أثلت بهذا البلد ويمكن اللاجئين من العودة لاوطان – أردنى فلسطينى من أن يشيدوا بيوتاً دائمة لهم .

وأظن أنه من الممكن وضع مثل ذلك الحجر ثانية فقط من خلال الحل الأردنى – الفلسطينى اذ أن عكس ذلك وهو قيام دولتين قد لا يلزم أكبرهما وهو الأردن باستيعاب اللاجئين بينما ترغب صغراهما باستيعابهم دون أن يكون لديها ما يكفى من المساحة لاسكانهم . ومثل جميع دول المنطقة ستكون اسرائيل مستعدة لمد يد العون بطرق مختلفة لوضع مثل حجر الزاوية هذا .

أما الحجر الخامس فى إطار الحل المقترح فهو : القدس .

وهناك ما نتفق عليه وما نختلف عليه مع مصر بالنسبة لقضية القدس . فمصر تتفق معنا بوجوب بقاء القدس مدينة موحدة . ونتفق معنا بوجوب ممارسة الطقوس الدينية فى ظل الاحترام لحقوق كل من الطوائف المعنية (وهنا يجب ألا ننسى أن القدس هى مدينة مقدسة ليس لليهود أو المسلمين فقط بل وللمسيحيين أيضاً) .

ولكن مصر تطالب بتجزئة السيادة فى المدينة وهذا ما لا تستطيع اسرائيل الموافقة عليه .

وفى رأيى يجب أن نلتزم بالمبدأين المتفق عليهما – وهما وحدة المدينة وحرية الصلة بالأماكن المقدسة ووضع تلك الأماكن تحت رقابة طوائفها الادارية بعد ترميمها وإكبارها بالشعارات المطلوبة لاثبات مدى الاتفاق حول موضوع القدس .

بعد وضع احجار الزاويا الخمس يمكن أن نتوجه نحو اقامة البنيان بأسره .

قد تتطلب المهمة وقتا طويلا والسؤال هو : أليس من الأفضل أن نبنى صرح السلام بالتأنى حتى لا نسقط ضحايا لحرب أخرى كنتيجة لنفاد الصبر ؟ عند حل المشكلة الفلسطينية نستطيع أن نكرس أنفسنا للهدف الرئيسى للسياسة التى بادر بها السادات والتى نشاركه الرأى فيها ، وهى تحويل الشرق الأوسط لمنطقة لا تقل عن أوروبا وحتى عن الولايات المتحدة تطورا اقتصاديا وعلميا واجتماعيا ، منطقة تنعم بتعاون شعوبها المستقلة بالرغم من اختلافاتها فى الدين واللغة كما هو الحال فى أوروبا حيث السوق المشتركة والحدود المفتوحة والثقافة المزدهرة .

إن انتسابنا لشعوب عريقة التراث يجب الا يمنعنا من بحث التعاون الإقليمى بيننا . إن منطقة الشرق الأوسط بدون نزاعات لن تكون مرة ثانية : مرعى للقطعان أجنبية وكلنا معا نستطيع أن نكرس قوانا البشرية ذات الخلفيات الحضارية العريقة من أجل خدمة الأجيال القادمة من ابناء الشعوب العربية واليهودية وشعوب أخرى فى المنطقة .

والمفتاح لهذا كله هو تعاون ثقافى وليس فقط سياسياً بين مصر واسرائيل – تعاون بين السياسيين والمؤلفين والفنيين والمزارعين والعمال . لقد أعطى الضوء الأخضر .

ورجائى ألا تثنينا الصعاب التى نواجهها والا فسنسقط ضحايا للشكوك المبالغ فيها . أو للأقاويل المنتشرة ، أو لعداوات الماضى ، لقد تقابلنا كبشر وفوجئنا عندما وجد أحدنا لدى الآخر رغبة فى ارساء دعائم الحضارة فوق اسرائيجيات الأمس .

هذه أيام تدعونا لاتخاذ قرارات عظيمة ورؤية شاملة . لسنا أبناء شعوب متجولة ، لقد ولدنا بين أحضان الأنبياء . وهذا مصدر قوتنا لأمس وسيكون مصدرها غدا .

□